الأستاذ: بلخضر طيفور

جامعة ابن خلدون - تيارت

محاضرات في منهجية العلوم السياسية

السنة الأولى ليسانس

العلوم السياسية

السداسي الأول

** النموذج **

يشير النموذج إلى تقاليد عامة أو افتراضات وأدوات تكتيكية لأنظمة علمية خاصة، وهناك رابطة منطقية تجمع بين النموذج والنظرية، فالنماذج تشغل مكان النظرية شريطة أن تكون قابلة للإثبات التطبيقي الكافي[1]، وكمفهوم إجرائي فإن النموذج وفقاً لـــ"كابلان" Kaplan Abraham هو : أي نظام (أ) هو بمثابة نموذج للنظام (ب)، إذا كانت عناصر وعلاقات (أ) تساعد في فهم (ب) بدون اللجوء إلى ملاحظة أي علاقة سببية مباشرة أو غير مباشرة بين (أ) و (ب)[2]؛ والنموذج هو عبارة صورة نظرية ومبسطة لما هو موجود في الواقع، أي أنه بناء مشابه للواقع وتمثيله وإدراكه في بعض جوانبه الأكثر مغزى وأهمية، وهو مركب ذهني من مفاهيم معينة تقوم على مجموعة من العلاقات غالبا ما يُعبّر عنها بصورة رياضية، والنموذج كأداة للإدراك العلمي يجب أن يتسم بالوضوح الذهني[3].

فالنموذج إذن هو بناء نظري نحاكي من خلاله بنية وتركيبة منظومة ما وكذلك آلية تفاعلات مكوناتها وكذا الظروف المحيطة بها، وتتنوع النماذج بتنوع الحياة الإنسانية في أبعادها المختلفة، و لكن هذه النماذج لا تمثل صورة المنظومة فقط (أي البنية الشكلية) بل آلياتها عبر الزمان والمكان، وهو ما يعني أن مساحة النموذج تضيق و تتسع طبقا لبساطة أو تعقيد بنية وآلية النظام الذي تحاكيه[4].

والنموذج أداة جد مساعدة في العلوم الإجتماعية وفي التحليل السياسي المقارن، وعلينا أن نفهم أن مصطلح النموذج يُعبر عن الحيادية، فمتى كان استخدامنا له يجب أن نتخلى عن صنع الأحكام القيمية، ويرى Howard Wiarda أن بناء النماذج في تحليل الأنظمة السياسية يساعد على مايلي:

---

[1] عبد الكافي إسماعيل عبد الفتاح، الموسوعة، ص 469.

[2] Encyclopedia of Sociology, (Borgatta F. Edgar and others), Second Edition, USA, (University of Washington, Seattle), Rhonda J. V. Montgomery, Managing Editor, (University of Kansas, Lawrence), Macmillan Reference, an imprint of The Gale Group, New York, 2000, p 2023.

[3] محمد شلبي، منهجية العلوم السياسية، ص 16.

[4] عبد القادر سعيد عبيكشي، إشكالية التحيز في تحديد المصطلح السياسي الحديث، (مذكرة ماجيستر غير منشورة)، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2008، ص 14.

1- النماذج تساعدنا على تنظيم، كشف، وربط مختلف الوقائع، العمليات والمؤسسات.

2- النماذج تساعدنا على تفكيك الأحداث للظفر بالصورة الكلية لتدعيم منظور ما.

3- النماذج تمنحنا طريقة للتفكير أكثر وضوحا حول الأحداث المعقدة.

4- النماذج هي أدوات كشفية تعلمنا التفكير وتُخوّل لنا رؤية الأنماط.

5- النماذج تساعد على تبسيط الأحداث والظواهر المعقدة وتساعدنا على فهمها أكثر[5].

وعلى المستوى الذهني يُعتبر النموذج بمثابة صورة عقلية مجردة ونمط تصوري وتمثيل رمزي للحقيقة، وهو نتيجة عملية تجريد (تفكيك وتركيب) إذ يقوم العقل بجمع بعض السمات من الواقع فيستبعد بعضها ويبقى البعض الآخر، ثم يقوم بترتيبها حسب أهميتها ويركبها، بل أحيانا يضخمها بطريقة تجعل العلاقات بينها تشاكل كل ما يتصوره من العلاقات الجوهرية في الواقع[6].

ثانيا: النموذج النظري Theoritical Model

في سنة 1954 اقترح Alfred Tarski اسم النموذج النظري لدراسة العلاقات المتبادلة بين جملة من النظريات الشكلية وبين البنيات الرياضية **"Mathematical structures"**، وهذا التعريف يخفي في جنباته ما أطلق عليه Abraham Robinson تطور الرياضيات الواقعية[7]، والنموذج النظري في العلوم الإجتماعية هو نمط العلاقة التصورية أو الرياضية الذي نكونه لإسقاط نظري لنموذج معين من العلاقات بين الواقع وبين التكميم الرياضي، مثل نماذج السلوك الإجتماعي المستخدمة في الدراسات الإجتماعية والسياسية، أي هو الصورة الذهنية المصغرة للواقع السياسي موضوع البحث، والمقصود من النظري هنا هو البناء الذهني الصرف الذي نستطيع به أن نشكل ما عليه من علاقات الواقع المستهدف من ارتباط أو توافق، وذلك في شكل صورة مصغرة من النظرية، فأغلب النظريات في علم السياسة هي عبارة عن نماذج نظرية مصغرة تساعد في فهم الواقع المستهدف ونمط علاقاته، وهذا النموذج النظري يتكون من مجموعة من المفاهيم والتصورات في شكل بناء رياضياتي.

ووصف العلاقات ليس متعلق بالتكميم الرياضي دائما، فالنماذج تبني الأجزاء المختلفة وتظهر العلاقات، وتُبسط الواقع الحقيقي لتسهيل الفهم، ولكنها لا تفسر فهي تشبه التجريد المحدود فهي ليست بنظريات عامة بل نماذج نظرية؛ وعلى الرغم من العلاقة القوية بين النظرية والنموذج النظري من جهة والواقع من جهة أخرى، إلا أنهما لا يتطابقان، ويستخدم النموذج بطريقتين فهو يمثل النظرية، و يصور الواقع من خلال تبسيطه، والتبسيط يكون إما بإهمال بعض الأشياء أو من خلال تخفيف القياس.

---

[5] Howard j. Wiarda, Comparative politics: critical concepts in political science, op. cit, p 25.

[6] نفس المرجع السابق، ص 15.

[7] Encyclopedia of Philosophy, (Donald M. Borchert, and others), 2nd edition, op. cit, (Vol.06), p 301.

وفي جعلنا النظرية كنموذج نبحث عن الطرق المقترحة لرسم النظرية، وليس الواقع الذي تتحدث عنه النظرية، فالنموذج هنا هو أداة لبناء الرموز والقواعد العملية الإفتراضية التي توافق الواقع من حيث البنية أو العملية[8]، وليس الواقع في حد ذاته، أما في ما يخص علاقة النموذج بالنظرية ، فهناك من يرى بأن النموذج أداة أساسية لصياغة النظرية، ووظيفتها تنتهي بمجرد الانتهاء من صياغة النظرية، وهناك من يرى بأن النظرية تمثل المرحلة الأولى لبناء النماذج النظرية، فالنموذج يبنى استنادا إلى ما تقدمه النظرية من فروض ومفاهيم وهو قد يأتي موضحا لها، حتى وإن تم التخصيص لدراسة فواعل معينة فبناء النموذج النظري يجب أن يزيد الوضوحية والجلاء ويختزل الغموض والإبهام[9]، والقول بأن النظرية أوسع من النموذج من حيث المكونات أو وظيفتها؛ هناك اختلاف فالنموذج لا يتضمن قضايا معرفية تقيم العلاقة بين المفاهيم والمتغيرات، وأنه لا يتضمن التعقيدات الواردة في بناء النظرية، فهو يعرض طرح أحادي يحتوي على مجرد عدد معين من التصورات و المتغيرات في البناء النظري.

واستخدام النماذج النظرية مطبق في كل فروع العلوم الاجتماعية، وهناك عديد النماذج المستخدمة في علم السياسة، ومن مثال ذلك النموذج النظري الذي يشرح العمليات السياسية في إطار النظام السياسي الذي وضعه David Easton[10] ؛

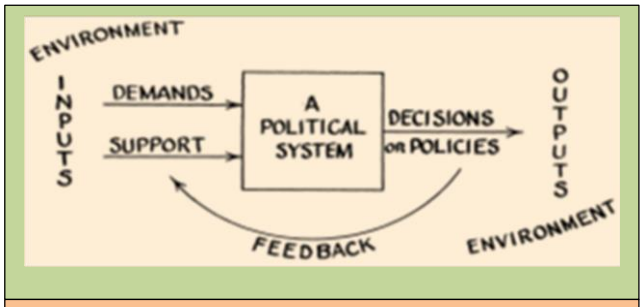

شكل .05. نموذج نظري لأداء النظام السياسي حسب دافيد إيستون

والنموذج النظري ليس وصـــفا للواقع السياسي بل هو تصور ذهني لعلاقـــات ذلك الواقـــع، فهو مجرد وسيلة لفهمه، كما أنه أداة مؤقتة للتحـــليل السياسي نظرا للتطور الدائم الذي يحكم الظواهر والواقع السياسي، كما أنه محدود من حيث الزمان والمكان، فالنموذج النظري مرهون بمدى تعبيره الصحيح للواقع السياسي.

---

8 Karl W. Deutsch, On Communication Models in the Social Sciences, The Public Opinion Quarterly, Vol.16, No.03, (Autumn, 1952), p 357.

9 Tim Buthe, Taking Temporality Seriously: Modeling History and the Use of Narratives as Evidence, The American Political Science Review, vol.96, no.03, (Sep, 2002), pp. 482-483.

10 David Easton, An approach to the analysis of political systems, World Politics, Vol.09, No.03, (Apr, 1957), p 384.